دراسة تحليلية لشعرية الوصف في قصص كاظم الأحمدي
((قراءة في مجموعتي هموم شجرة البمبر وطائر الخليج))

د.رمضان علي عبود
المديرية العامة للتربية في صلاح الدين

تاريخ استلام البحث : ٧ / ٩ / ٢٠١٦ تاريخ نشر البحث : ٢٤ / ١١ / ٢٠١٦

الملخص:-

قام البحث على دراسة تحليلية لشعرية الوصف في قصص مجموعتي ((هموم شجرة البمبر وطائر الخليج)) للقاص كاظم الأحمدي ،وقد بدأ البحث بالمدخل الذي تناول تحديد مفاهيم مصطلحات البحث:الشعرية، والوصف.

والبحث يتألف من ثلاثة مباحث، أما الأول فيتضمن أشكال الوصف وهي وصف الشخصية ووصف الحدث، ووصف المكان، ووصف الشيء، وهو كل ما تفاعلت معه الشخصية من الموجودات وتناوله الوصف في القصص قيد الدراسة.

فيما تناول المبحث الثاني أنماط الوصف، وهو:الوصف البسيط، المركب، التصنيفي، التعبيري.وهذا التصنيف للأنماط قائم على أساس التفاصيل الوصفية الموجهة للموصوف [شخصية ،حدث ،مكان،شيء].

ويأتي بعد ذلك المبحث الثالث الذي تضمن وظائف الوصف وهي ثلاث وظائف معينة، مصنفة على أساس ما يمنحه الوصف من غاية أوهدف للموصوف.وهذه الوظائف هي الوظيفة التزينية التي تمنح الموصوف أبعادا جمالية ، فيما تعمل الوظيفة الثانية وهي الوظيفة الإيهامية ،على إيهام القارئ بحقيقة العالم المتخيل المقروء . وتسعى الوظيفة الثالثة :التفسيرية إلى تفسير وتوضيح حياة الشخصية وأفعالها وسلوكها ، والمدن ،والأماكن ، والمكونات الأخرى .

مدخل

أ – الشعرية :

تمثل الشعرية مرتكزا من مرتكزات المناهج النقدية الحديثة التي تسعى إلى كشف مكونات النص الأدبي ،بوصفها تنهض على ((الدراسة المنهجية التي تقوم على علم اللغة للأنظمة التي تنطوي عليها النصوص الأدبية ، وتهدف لاكتشاف الأنساق الكامنة التي توجه القارئ إلى العملية التي يتفهم بها أدبية هذه النصوص))[١] ، فهي تنطلق من النص وهي تسعى إلى استنباط قوانين النص ذاته وكشف مكوناته الأدبية ،وكيفية تحقق وظيفته الأيصالية والجمالية ، فهي تعني بشكل عام ((قوانين الإبداع الفني))[٢].

ويعد تودوروف هو أول من حدد موضوع الشعرية من خلال قوله ((ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية ، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي ، ولكل عمل عندئذ لا يعد إلا تجليا لبنية محدودة وعامة ، ليس العمل إلا انجازا من انجازاتها الممكنة ، ولكل ذلك فأن

هذا العلم لا يعني بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن ، وبعبارة أخرى يعني بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي أدبيته))[٣] ، فهي ليس من أهدافها تسمية المعنى بل سعيها الأساس هو معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل أدبي ، ومن خلال تحديد ميدان وجودها ومعرفة نطاقها العملي يمكن حصرها في مدلولات ثلاث[٤]:

أ- كل نظرية داخلية للأدب .

ب- اختيار المؤلف ضمن الإمكانات الأدبية المختلفة (نمط التأليف ، الأسلوب).

ج- السنن والقوانين المعيارية المؤسسة من لدن مدرسة معينة أو مجموع القواعد التي ينبغي الالتزام بها أثناء الممارسة الفنية، فالشعرية ترتبط بالأدبية عند تدوروف فهو يرى أن ليس ما تدرسه الشعرية هو الشعر والأدب ، بل هو السمات الشعرية و الأدبية ، فهو يقول ((ليس الأثر الأدبي ذاته هو موضوع الشعرية فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب المنفرد الذي هو الخطاب الأدبي))[٥]. فيما يرى ياكوبسون أن موضوع علم الأدب ليس هو الأدب ،وإنما الأدبية ،وهو ((ما يجعل من اثر معطى أثرا أدبيا))[٦] وهو ((ما يسمح بتميز ما هو أدبي من غير الأدبي))[٧]. وعلية فالشعرية تأخذ في حسبانها مفهوم الأدبية كي تتأسس علما للأدب إذ إن الشعرية علم عام موضوعه الأدب يروم القيام علما للأدب غايته استنباط الخصائص النوعية والقوانين الداخلية للخطاب الأدبي في شموليته الجنسية والكمية.

أما الأدبية والسمات الشعرية فيستويان ويتوازيان مترادفين موضوعا للشعرية[٨].آما جان كوهن فقد بني شعريته على الانزياح ،وتتمحور نظريته حول الفرق بين الشعر والنثر من خلال الشكل وليس المادة ،أي من خلال المعطيات اللغوية المصاغة وليس من خلال التطورات التي تعبر عن تلك المعطيات[٩]. فيما عد ريفاتير مفهوم الشعرية هو تطوير لمفهوم (الجمالية) المتداول عند ياكوبسون ؛ لأن (الواقعية الشعرية) موجودة داخل البنية اللسانية بينما (الواقعة الجمالية) ميتالغوية ، وقد غير ياكوبسون لفظة الجمالية إلى شعرية بالمدلول نفسه ثم وسع دائرة مدلولها كي يكون حصرا على الشعر[١٠] . ويرى جيرار جنيت أن الشعرية ((موضوعها جامع النص أي مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة ونذكر من بين هذه الأنواع أصناف الخطابات وصيغ التعبير والأجناس الأدبية))[١١]. تمثل السردية فرعا من أصل كبير هو الشعرية [١٢] التي تعنى باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية ،واستخدام النظم التي تحكمها والقواعد التي توجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسماتها[١٣]،والسرديات تندرج بوصفها اختصاصا جزئيا يهتم بـ(سردية) الخطاب السردي ضمن علم كلي هو (البويطيقا)التي تعنى بـ(أدبية)الخطاب الأدبي بوجه عام وهي بذلك تقترن بالشعريات التي تبحث في شعرية الخطاب الشعري.

ب . الوصف

يعد الوصف ((نظاما أو نسقا من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات ، أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته ألفنية))[١٤] ، فهو إنشاء تصويري ((يراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص))[١٥] ، إذ إن غايته الأساس ((أن يعكس الصورة الخارجية لحال من الأحوال ، أو لهيئة من الهيئات ، فيحولها من صورتها المادية القابعة في العالم الخارجي إلى صورة أدبية قوامها نسيج اللغة ، وجمالها تشكيل الأسلوب))[١٦]. وبهذا يسهم الوصف في تسمية الموجودات ويعطيها تميزها الخاص بين الأشياء، ويسلط الضوء على ما له علاقة بالحدث القصصي . وللوصف أهمية

كبيرة في العمل القصصي والروائي ،إذ من خلال الوصف يستطيع القاص أن ((يقدم لقارئه كل المعلومات التي تكفيه لتصبح القصة مفهومة لدية ومقبولة كما تكفيه للوصول إلى مضمون القصة ويبطل فعل الصدفة ،ويحدد طبيعة الأحداث))[١٧]، ففي الغالب يأتي مضمونها وهدفها من خلال هذا الوصف

المبحث لأول: اشكال الوصف

١- وصف الشخصية :

تعد الشخصية عنصرا مهما من عناصر الفن القصصي والروائي ، فهي بمثابة العصب للقصة ،وهي امارة الخلق الأدبي ومن المحال وجود قصة أو رواية بدونها ، من هنا فان رسم الشخصية ووصفها في غاية الأهمية للعمل القصصي ،لأن الوصف يعد ((احد الأركان الأساسية للتشخيص،وهو تقديم صورة استهلالية كاملة للشخصية ثم تقديم أحداث تعززها))[١٨].

وكل شخصية من شخصيات القصة تتمتع بخصائص وسمات تبعث على الاهتمام بها والتفحص الدقيق لمكوناتها وما يحط بها ، ولاسيما أن هذه الخصائص مهيئة ومكرسة لخدمه أحداث القصة وتوضيح أبعادها .

وغالبا ما يتم وصف الشخصية بصورة مركزة من خلال اختزال أكثر الصفات قوة وتأثيرا في حساسية الشخصية وطبيعتها وكيفيتها الداخلية والخارجية. والوصف هو الذي يضفي بعدا واقعيا على الشخصية فضلا عن دوره في تعميق الشخصية ، ومن أمثلة وصف الشخصيات ما جاء في قصه (طائر الخليج): ((كان المرزوق ، في هذه اللحظة ،يرسل خيوط بصره في مسافات الشط البعيدة جدا ، باتجاه الجنوب ،كان الرجل يرسم في ذاكرته وجه المرزوق بتفاصيله ، فكانت تنحدر من جبهته خطوط محفورة باعتناء ، تنتهي عند صدغية بتصلب ،ثم تهبط ثانية على الخدين كنهرين جافين تماما ، ومن فوق كان يغطي رأسه شعر أشيب ، كما لو كان تاجا أزيح في مقدمة الرأس ، تحت شعاع الشمس المنعكس من صفحة الماء مثيرا لمعانا ووهجا يدلان ، كما قال لنفسه مسؤول المعبر ، أن شخصية كريم المرزوق ،حقا نادرة))[١٩].

يقدم النص القصصي شعريته من خلال الوصف القائم على وجهة نظر مسؤول المعبر المتواجد على الدوام في المعبر الذي تنطلق وترسو منه واليه السفن الصغيرة والزوارق في شط العرب ، وهو يرسم في مخيلته كريم المرزوق الذي اعتاد مجيئه اليومي إلى المعبر ليراقب طائرا يطلق عليه اسم طائر الخليج ،فيبقى على مقربة من مسؤول المعبر من دون أن يختلط به أو ينطق بكلمه واحدة معه ، حتى راح يثير الشك والخيفة في نفس مسؤول المعبر في أيام مجيئه الأولى ،ولكن من خلال كثرة مراودته المكان عرفت غايته المراقبة ،

بعدما ترسخت صورته في مخيلة مسؤول المعبر، مما جعل رؤيته كشخص عن بعد تثير في مخيلة مسؤول المعبر أوصاف ملامحه ، تلك الأوصاف التي تركز على ملامح الوجه وهو يعكس آثار السنين التي بصمت وجهه بالخطوط المحفورة وهي تتوازى في جبهته وعلى خديه كأنهر جففها العطش ،من دون أن تترك شعره الذي توهج بياضا ،وهو يومئ بثقل السنين المتعاقبة وما حملته من هموم ومتاعب .

وبهذا جاء الوصف في هذا النص وصفا للبعد الخارجي المستند إلى قناعة مسؤول المعبر نفسه بأنه شخصية نادرة.

ومن الأمثلة وصف الشخصية ما جاء في قصة (الأمواج):((صبغ ضياء الشمس الغاربة، وجه مهدي عبد الوالي، فبرزت بعض تقاسيم وجهه اليابسة، غير أنه استطاع، بخفة قامته الطويلة، أن ينسق من حركة قدميه، وهو يحاذي الضوء المنزلق بين سعفات النخيل. كانت ((الفالة)) بمرديها المهتز فوق كتفه تسبق خطواته ، إنها تومئ إلى امتدادات حافة الطريق الضيقة ، أو إلى شي هناك . علق مهدي عبد الوالي بصره في المسافة البعيدة ، وبهدوء تغسله لحظات شوق ، كانت تلمع في ذاكرته بطون الأسماك اللاصفة في ضوء القمر البارحة))[٢٠].

تتحقق شعرية الوصف من خلال الأبعاد : الخارجي ، الداخلي ، الاجتماعي لشخصية مهدي عبد الوالي ،فمن حيث البعد الخارجي امتاز بتقاسيم وجه يابس جففت طراوته مكابدات مرارة العيش وقسوته في بيئة قاسية ، وهو يتواجد جل وقته تحت لهيب الشمس القاتل ، فضلا عن نحافة الجسم بسبب السير المتواصل النشيط المتزن ، ومن حيث البعد الداخلي تمثل في حبه لمهنته (صيد السمك) ، اذ نجد قلبه مفعم بالشوق وهو في طريقه الى النهرلمزاولة الصيد،لاسيما أن ذاكرته مفعمة بصور الأسماك وحركاتها الفزعة التي كشفها لمعان وبريق بطونها ، تلك الصور التي اختزنتها مخيلته في زيارة بحث وفحص للنهر في ليلة ماضية .

أما البعد الاجتماعي فتمثل في التفاعل العميق بين الشخصية والبيئة الاجتماعية المتمثلة بالبيئة الجنوبية ،وتحمل الشخصية لكل ما تضفيه تلك البيئة من قساوة العيش وهو يركن لإحدى المهن الرئيسة في هذه البيئة ألا وهي صيد السمك وتحمل السير لمسافات طويلة حاملا الفالة على كتفه ليقضي أكثر وقت الليل في الصيد رغم ان وقت الليل مخصص للسكون والراحة والسبات .

٢- وصف الحدث:

الحدث هو مجموعة من الوقائع المنتظمة والمتناثرة في الزمان،ومكتسبة خصوصيتها وتميزها عبر تواليها في الزمان على نحو معين[٢١]،ويمكن القول أن الحدث هو((اقتران زمن بفعل))[٢٢]،ذلك الفعل المتسم بالحركة والتغيير بحيث تكون أحداثها حية والمواقف مثيرة ومترابطة إلى الحد الذي يجعل القصة متماسكة وحيوية.وللوصف دور كبير بالنسبة للحدث بوصفه أداة مهمة لتشيد الحدث وتقديمه وتطوره))[٢٣]. ومن أمثلة وصف الحدث ما جاء في قصة(البيارق)،من خلال ذهاب الشخص المرسل من محل سكناه إلى الحي الذي يقطنه أهل وأقارب جاره السيد حمادي بن السيد خلف الجمعة ليخبرهم بوفاته على وفق الأتي :[٢٤]

— تطلع إلى وجه السائق فالتقت عيناه بعيني السائق في نظرة سريعة ملتمعة.

. وفي المكان الذي توقفت عنده السيارة،وكان مرتفعا، نفحته رياح دافئة ،فامتلأ قلبه بفرحة

. كان الرجل يتقدم بخطى هادئة متأنية، تلقفه زقاق ضيق يتجمع في حلقه بعض الأطفال.

. ارتفع رأس الرجل فاهتزت أطراف كوفيته المدلاة على كتفه ، كانت عيناه تبحلقان في ارتعاشات البيارق المتتالية .

. ظل الرجل الغريب، في الوسط يدور حول نفسه، يتابع الكرة وعيناه تلتقطان حركة الأرجل الصغيرة وذرات التراب المتصاعدة.

. أدرك على التو، المهمة التي جاء من أجلها فراحت يده تطرق الباب بشدة.

. حدقت المرأة بقامة الرجل المديدة ، ولاحظت كوفيته المرقطة بنقاط سود غير مستقرة على رأسه .

. سمع صوتا من الداخل مدهونا بسعال حاد، وسرعان ما ظهر وجه رجل عجوز.

. أزاح الرجل حبات العرق النازحة على رقبته بكوفيته المرقطة.

ومما سبق فقد أظهرت أفعال الشخصية عبر السفر،ومن ثم البحث في الأزقة وعلى أبواب البيوت أحداث القصة المتنامية من خلال شخصية الموفد إلى أهل وأقرباء جاره الذين يسكنون في مكان بعيد كان يجهله ليخبرهم بوفاته ،وما واجهه من تعب وعناء وبحث عنهم في أزقة مختلفة وطرق أبواب بيوت عدة وسأل في مقاهي واستعان بأطفال ونساء عدة، بسب عدم تمكنه من ضبط مكان سكنهم الدقيق ، وكذلك نتيجه لإصراره الشديد على إيصال الخبر الذي تكلف به بسب مكانة المتوفي المتميزة والسعي الجاد لإقامة تشيع كبير إكراما له ولأهله وأقربائه .

ومن أمثلة وصف الحدث ما جاء في قصة ((فوانيس مريم)) من خلال أفعال الوالد وأفعال مريم زوجة ابنه الشهيد وموقف ابنه الآخر على وفق الأتي[٢٥]:

. رفعت مريم رأسها.نظرت مباشرة إلى عيني أبي، ساهمة كما لو كانت تقرأ فيها أسرار حياة خفية، بكلمات ظل ينتقيها كانت عيناه تواجهان الوجه المفتوح.

. سمعت اسمي ، لأول مرة يتردد في غرفة مريم ، شعرت به يندس في إذنيها نديا يشع في هذه الليلة الشتائية .

. مريم تحدق إلى وجه أبي ، كما لو كانت تملأ وجهي بصمت تبرق في عينيها رائحة السنوات التي قضتها مع أخي .

. مريم كانت تسكت . تسكت وتجعلني وحدي افكر في الصورة التي صارت وراء ظهر أبي وهو يحرك قامته .

. الصمت كان يشغل ليلتي في الخارج، وفي غرفتي كانت تتساوى عندي لحظات التوجس والخوف.

. لم يمض أبي عند مريم غير وقت قصير .سمعت الان صوت حذائه يوش وراء الباب .

. هزت مريم رأسها بحركة ذات معنى غامض .

. مد يده إلى يدي ، نتر جسدي كما لو كان يفعل ذلك عمدا . رأيت جسدي منطرحا أمامه ، لم أغمض عيني .

ومما سبق فقد أظهرت أفعال الوالد ومحاولاته في السعي لزواج ابنه احمد من مريم زوجة ابنه الشهيد الأحداث المتنامية للقصة ، من خلال مفاتحة الوالد لمريم بالزواج ومن ثم مفاتحة ابنه احمد ، ومعاودة الوالد الحديث مع مريم لأخذ القرار النهائي أثناء دخوله إلى غرفتها الخاصة بعد غلق باب الغرفة عليها ، الأمر الذي دفع احمد إلى مراقبة الأحداث واستراق السمع من ثقوب الباب، ومتابعة كل ما يدور في الغرفة بين الوالد ومريم ، وسعي الوالد الحثيث للتخلص من واقعه البائس الحزين ومريم أمامه كل يوم متوشحة بالسواد منذ ثلاث سنوات من دون أن يكون لها أي طفل يخفف من وطأة الحزن التي خيمت على البيت طيلة تلك الفترة ، ولذلك ظل الوالد مصرا وهو يكثف حواراته مع مريم وابنه لتحقيق هدفه ورؤيته في مستقبل أفضل يتجاوز فيه الحزن والركود وصمت الحياة .

ومن أمثلة وصف الحدث ما جاء في قصة (ما رواه الرواة عن رجل يدعى الملا ناصر) من خلال أفعال الملا ناصر[٢٦].

. عدم السماح للنساء بالدخول إلى المقبرة انهن يجلبن اللعنة على الميت لأنهن يبكين بصوت عال .

. السماح لثلاث نسوة فقط من ضمنهن فتاة جميلة كان قد تزوجها الميت حديثا.

. عينا الملا ناصر ترقبان الكرتين الصغيرتين اللتين تدلتا من صدر الفتاة بعد أن شقت ثوبها

. رؤية شعاع من عيني الملا نحو صدر الفتاه .

. هدوء كالصمت كان يسيطر على وجه الملا .

. سمع صوته ينساب إلى أذنيها كان أكثر صفاء ورقة.

ومما سبق فقد أظهرت أفعال الشخصية عبر المتابعة والتركيز على الفتاة الجميلة زوجة المتوفى أحداث القصة المتنامية من خلال شخصية الملا ناصر، فهو في حالة من الإثارة الجنسية وهو يصوب سهام عينيه إلى مفاتن وجمال تلك الفتاة، لتسيطر في النهاية على عالمه الداخلي وتكون تلك اللحظات نقطة البداية لموضوع شغل مشاعر الملا كثيرا بعد الخروج من المقبرة ، وراحت أحاديثه عن الزواج ـ أمام أبناء قريته وعند الفتاة نفسها، وعن مكانته الشرعية والاجتماعية تأخذ جانبا كبيرا من وعظه الديني تمهيدا للزواج منها.

٣- وصف المكان

يحتل وصف المكان أهمية كبيرة في القصص المعاصر، لما للوصف من اثر كبير في تحديد المكان، إذ غدا المكان شخصية فعالة في القصة ،ويعبر عن واقع ومعاناة الإنسان المعاصر، فالوصف يحدد الحدث ويشارك في تطويره ((والوصف مثل كل شيء آخر في نسيج الرواية ليس للزينة وإنما ليؤدي غرضا معينا نحو جزء من الحدث))[٢٧] ،ويكشف لنا الوصف عن علاقة بين الإنسان والمكان وكذلك ((يكشف عن البعد المكاني للقصة))[٢٨] .

ومن أمثلة وصف المكان ما جاء في قصة (أمواج):

((أخذت الخيوط الضوئية المعلقة على سعفات النخيل تنزل إلى الأسفل ، وتتباعد شيئا فشيئا ... وما بقي منها سوى شواظ باهت يتكسر التماعه عند رؤوس البيوت والعمارات والأشجار التي عبر الشط ، وهو ما زال يدنو من ضفته المرتفعة ، وقمر الليلة كان للتو قد انتعش في دارة حمراء يواجه عينه ، راميا ضوءه السابح في المياه البعيدة ، الهادئة هناك))[٢٩].

يقدم النص القصصي شعريته من خلال وصف المكان (ضفاف الشط) في وقت محدد هو وقت الغروب ، بعدما بدأ قرص الشمس بالنزول إلى المغيب واخذ ينكمش رويدا رويدا سامحا للقمر بالسطوع وهو يأذن بأن تلك الليلة ستكون مقمرة منذ رحيل قرص الشمس ،وكأن الشمس والقمر في تعاقب منضبط في عملية منح الضوء ، وهذا الوقت مخطط له ومقصود من قبل صياد السمك مهدي عبد الوالي وسعيه الدائم لاستغلال الليالي المقمرة ليطفو بزورقه في رحلة يكتب لها أطول وقتا مع صيد السمك املا منه في أن تكون الفرصة اكبر والصيد أكثر .

ومن أمثلة وصف المكان ما جاء في قصة (البيارق):

((تحيط المقهى حرارة الشمس ، وفي واجهتها الأمامية ، ارتفعت ثلاثة بيارق تغطي لافتة مكتوبة ((بالبوية)) البيضاء ، وكان لون البيارق المشع يملأ عينيه . ظلال باردة تنتشر على مقربة من باب المقهى))[٣٠].

تحقق شعرية وصف المكان من خلال بيان طبيعة الأجواء داخل المقهى المعتدلة مقارنه بالأجواء خارج المقهى الحارة جدا ، فالشخصية لم تدخل المقهى ، وليس لديها وقتا للاستراحة فهي بصدد البحث والسؤال عن أهل وأقرباء جاره المتوفي ليخبرهم بوفاته ، فبقت حرارة الشمس وكثرة البيارق المبهمة التي لم تسعفه بمعرفة أهل وأقرباء جاره تلقي بظلاها على شخصية المرسل التي قاست التعب والمعاناة في البحث والسؤال في أمكنه عدة منذ أن كلفت بإيصال رسالة التبليغ بالوفاة إلى أهل وأقرباء جاره .

ومن أمثلة الوصف ما جاء في قصة (عشق خضرة وعواقبه):

((في جدار بيت سيد عبد وهو جدار الغرفة الرابعة من البيت ، والتي تقع في الزاوية الخلفية تقريبا ، ثمة شباك صغير يقذف بضوء الفانوس الغازي ليلا نحو الخارج ، حيث بيت محمود الحسن ، فيلتصق مستطيل الضوء النافر من الداخل على الجدار المقابل ثم ينفرش رذاذه في ظلمة الزقاق مفتتا دكنة الليل))[٣١].

تأتي شعرية المكان من خلال تحديد بيت سيد عبد بالتركيز على وصف تأثير شعاع الضوء النافذ من شباك إحدى غرف البيت المذكور، وما يفعله من تفتيت لظلمه كبيرة في فضاء الزقاق الكامل ،مما يعكس مكانة شخصية سيد عبد الاجتماعية والاقتصادية ،وطبيعة نفسه المتفائلة والساعية إلى التجدد والتطور

٤- وصف الشيء

تعد الأشياء عناصر من عناصر العالم الخارجي عن الإنسان ، إذ يستطيع التعامل مع أي منها بحسب ما تطلبه ظروف حياته اليومية ، ويسعى الوصف عادة إلى الكشف عن هذه الأشياء ومكوناتها [٣٢]؛لان الشيء يحمل دلالة خاصة اذا ما وجد في النص القصصي ، إذ تتفاعل معه شخصيه [٣٣] ، ونتيجة لمكانة هذه الأشياء فأن وصفها يتبع وصف الشخصيات والامكنه والحدث ولا ينفصل عنها بأية حال من الأحوال[٣٤].

ومن أمثله وصف الشيء ما جاء في قصة (الذبيحة):

((ظلت شجرة السدر العجوز التي داخل المزار ، تمد أغصانها بارتخاء ، جامدة بألوانها الداكنة ، كانت تغطي الرؤوس المنبطحة على الأرض بظلال كثيفة تحسب أنها تحمل ثقلا تنوء به إلى حد الاختناق))[٣٥].

يتميز النص القصصي بشعرية الوصف من خلال التركيز على الشجرة المستقرة في باحة المزار من خلال تحديد نوع الشجرة ، عمرها ، هيئتها ،طبيعة أغصانها، لونها، ووظيفة هذه الشجرة انها يستظل بها من قبل النساء والرجال والأطفال القادمون الى هذا المزار وهم على موعد مع ذبح ثور فيه، ليأخذ كل منهم نصيبه من لحمه.

ومن أمثلة وصف الشيء ما جاء في قصة (الأمواج):

((توقف، الآن، امام الشط مبهورا، تمزقت صورة الهدوء، فقد كانت البواخر والسفن ترسل أضواء مكثفة، تنعكس على المياه، في شكل سهام طويلة تنساب متكسرة، بين حين وآخر تصل إلى الضفة...))[٣٦].

تتجلى شعرية وصف الشيء من مراقبة أشعة الضوء القوية والمتقاطعة المنبعثة من البواخر والسفن التي راحت تنكسر على سطح الماء، يعقب تلك الأضواء حركة السفن والبواخر وهدير المحركات وهي تقض طابع الهدوء الذي كان مسيطرا على الشط ،وعند تقرب هذه الأضواء وكل هذا الضجيج من الصياد مهدي عبد الوالي يركن إلى التوقف والجلوس على الأرض والاستقرار في مكانه ،وحتى ان تمضي هذه البواخر والسفن من أمامه ليعاكسها في الاتجاه بحثا عن الأسماك الهاربة .

ومن أمثله وصف الشيء ما جاء في قصة (رائحة التراب):

((الغسيل يرفرف على حبال معلقة بشكل أعلام مدلاة إلى الأسفل.كانت حركتها تخفي ثمة كائنا خلفها أو تحت الجدار الوطيء ...))[٣٧].

تتجلى شعرية وصف الشيء من خلال المراقبة لحبل الغسيل الموجود على سطح البيت المشرف على داخل المقهى ،وما يعلق عليه من ملابس مختلفة الألوان والأشكال تقوم بتعليقها فتاة جميلة ، التي كانت

سبب المراقبة من قبل الشخص في داخل المقهى ، والذي كان يرتاد المقهى بسببها ؛لأنه اعتاد رؤيتها من هذا المكان والتحرش بها .

المبحث الثاني: أنماط الوصف

١- الوصف البسيط

وهو الوصف الذي ((يعطى من خلال جملة وصفية مهيمنة قصيرة ،لا تحتوي إلا على بعض التراكيب الوصفية الصغرى ، ويكون ذلك حين يتم الاستغناء عن الأجزاء والصفات كالاختصار اثناء وصف الشخصيات، على تراكيب وصفية موجزة)) [٣٨]، وغالبا هذا النوع من الوصف ((يندمج في شكل مشهد قصير، أو لقطة موجزة، وكأنه إقحام مفاجئ يوقف تسلل السرد الروائي))[٣٩]. ويحقق الوصف البسيط الإثارة في القصة والحفاظ على وضع يتلائم مع السرد [٤٠] وحركة الحدث في القصة .

ومن أمثلة الوصف البسيط ما جاء في قصة (البيارق):

((حدقت المرأة بقامة الرجل المديدة،ولاحظت كوفيته المرقطة بنقاط سود غير مستقرة على رأسه))[٤١].

يحوي النص القصصي وصفا بسيطا لشخصية الرجل الغريب على هذا الزقاق من خلال جملة قصيرة (كوفيته المرقطة غير مستقرة على رأسه) ،ولكن هذا الوصف يلقي بظلاله على البعد الاجتماعي والنفسي للشخصية ، إذ يتعين كونه رجلا اجتماعيا معتبرا لاحت عليه ملامح التعب الجسدي والنفسي ،فنسي حتى يرتب كوفيته كونه قادما من مكان بعيد ليخبر أهل وأقرباء جاره بوفاة ابنهم الذي تربطه به علاقة جيرة طيبة، وهو لم يعرف مكان سكناهم جيدا، فجاب أزقة مختلفة وطرق أبواب عدة وهو يسأل عن أقرباء جاره حتى أتعبة البحث واعياه السؤال ، وبهذا يقدم هذا الوصف فهما لإحداث القصة بما يتوافق مع الوضع العام لشخصياتها .

ومن أمثلة الوصف البسيط ما جاء في قصة (رائحة التراب):

((ضحك أبو مضر،كما لو كان يلقي نكتة، فبانت أسنانه الطويلة ، السوداء...))[٤٢].

يقدم النص الوصفي شخصية (أبو مضر) بجملة وصفية (بانت أسنانه الطويلة ، السوداء).

تلقي بظلالها على عمل الشخصية (أبو مضر)، وبعده الاجتماعي كونه صاحب المقهى، الذي اعتاد تناول الشاي والتدخين بكثرة ، والمقهى عادة مكان تلاقي الأصدقاء ، وأبو مضر في طور التعريف بين صديقين افترقا منذ زمن ونسي كل منهما ملامح وجه زميله ، واحتفظ باسمه فقط ، لكن كل منهما يبحث عن زميله الآخر. وقد صادف أن اتفق حضورهما في هذا اليوم إلى المقهى. فشرع أبو مضر يخبر احدهما عن الأخر الذي كان قد وصل إلى المقهى قبله، وهو بذلك يحقق الصلة والتواصل بين الأصدقاء. وبهذا جاء الوصف البسيط ليعطي فهما واضحا لإحداث القصة بما يتوافق مع الوضع العام لطبيعة الشخصيات.

ومن أمثلة الوصف البسيط ما جاء في قصة (طائر الخليج)

((تيقن أن المرزوق سوف يرى تلك الطيور لأنها من الكثرة بحيث غطت لمعان الموج. حينما حدق في وجه المرزوق طويلا، رجعت نظراته ذابلة إذ لم يلحظ شيئا يجعل يقينه في محله))[٤٣].

يقدم النص الوصفي شخصية (مسؤول المعبر) بجملة وصفية قصيرة (رجعت نظراته ذابلة) ولكن هذا الوصف يلقي بظلاله على البعد الاجتماعي للشخصية إذ يتعين كونه يعمل بمهنة مسؤول المعبر ، وكان وجود المرزوق حوله وقريبا منه يوميا يشغل باله ويقلقه لأنه لم يكن يعرف غايته وهدف مجيئه لهذا المكان ،ثم اخذ يظن مؤخرا أن سبب مجيئه لمراقبة أمواج الطيور القادمة من الخليج فعمد إلى التحقق من مدى صحة ظنه عندما رأى سربا من الطيور حطت على مسافة منهما صوب نظره إلى المرزوق ليرى مدى انشغاله بها الا انه لم يكترث بها لانه لم يعلم بمجيئها ،فخاب ظن مسؤول المعبر واستمر القلق يساوره أياما أخر . وبهذا جاء الوصف البسيط ليعطي فهما واضحا لإحداث القصة من خلال إضاءة حركة شخوصها .

٢- الوصف المركب:

وهو الوصف الذي يتميز بشيء من التعقيد لأنه ينتقل من الموصوف إلى أجزائه ومكوناته والانتقال إلى محيط الموصوف بما يقتضي جمع جملة أشياء موصوفة[٤٤] . إذ يخترع عالما لكل ما في العالم من تماسك وينزع إلى ابتعاث معنى من هذا الوصف يدخل معه في صراع [٤٥]. ويتطلب هذا الوصف الدخول اللطيف في الوقت المناسب للحد من سيطرة جريان الحدث وسرعته لتسليط الضوء على مشاهد معينة تجعل القارئ يلتفت أليها [٤٦].

ومن أمثلة الوصف المركب ما جاء في قصة (البيارق):

((وفي المكان الذي توقفت عنده السيارة ، وكان مرتفعا ، نفحته رياح دافئة ، فامتلأ قلبه بفرحة . امتد أمامه نهر صغير عليه قنطرة ، وبعده تأتي البيوت متراصة ترابية اللون ، تتدافع إلى الداخل أو تخرج قليلا في عرض الأزقة الضيقة المليئة بالأتربة والأحجار الصغيرة ، وكانت الأعمدة الكهربائية تلتصق بخصص البيوت ، ثمة بيارق صغيرة أو كبيرة مربوطة إلى الأعمدة تهزها رياح تشتد في الأعلى ، وتنزل من خللها ارتعاشات متتالية ، على أثرها تتحرك البيارق ، فتصطفق بعضها ، وتلتف أثناء هبوب الريح في الأسفل الظلال التي تسقط تحت الخصص))[٤٧].

تتحقق شعرية الوصف المركب من خلال الانتقال بالموصوف من (المكان المرتفع) إلى الشخصية (امتلأ قلبه بفرحة) إلى ما حوله (نهر صغير) ومن المكان المقصود (البيوت ترابية اللون) و(الأزقة الضيقة) و(أعمدة الكهرباء) و(بيارق صغيرة أو كبيرة) وقد عمد القاص على جمع هذه الموصوفات في مكان واحد ينتقل بينها مع وضع صفة لكل موصوف ، فالمكان مرتفع ، والشخصية في المكان فرحة ، والبيوت طينية متراصة ، والأزقة ضيقة مليئة ، بالأتربة والأحجار الصغيرة ، وأعمدة الكهرباء تلتصق بخصص البيوت ، والبيارق صغيرة أو كبيرة تهزها الرياح ... من خلال الأفعال (توقفت /نفحته / امتلأ /امتد /تأتي/تتدافع /تخرج/تلتصق /تهزها/تشتد/تنزل /تتحرك/تصطفق/تلتف).

ومن أمثلة الوصف المركب ما جاء في قصة (الذبيحة):

((ارتفع خارج المزار دوي عال ، مما جعل الأطفال يحدقون هذه المرة أكثر في الفسحة الترابية التي امتلأت فجأة بعائلات أخرى ، وبين القامات الطويلة أو المتلفعة بالعباءات السود ، ظهر رجل يقود ثورا صغيرا ،

كانت أصوات الهلاهل والدعوات وصراخ الصبية الصغار ، مزيجا يتناثر في الأزقة الضيقة الصغيرة أو يدخل إلى دكاكين بائسة .

طلع إبراهيم عوفي من دكانه ووقف شامرا كوفيته الكالحة فوق متنه وهو يتطلع إلى هذه القامات . وعند الجدار المواجه للدكاكين كان مجيد المطرود يقف إلى جانب عبد الله عمارة وعلى وجهيهما امتعاض أثاره الغبار المتصاعد من تحت أقدام الثور الذي حرن جسده لفترة....))[٤٨]. يمكن تلمس شعرية الوصف من خلال الانتقال بالموصوف من المكان (المزار) إلى الفسحة الترابية التي أمامه إلى الرجل الذي يقود الثور، إلى المكان القريب (الأزقة) و (الدكاكين المجاورة) إلى شخصية (إبراهيم عوفي) و(مجيد المطرود) و (عبد الله عمارة). وقد عمد القاص على جمع هذه الموصوفات في موضع واحد من خلال (الفسحة الترابية) التي أمام المزار والانتقال من خلالها إلى كل ما يحدث في هذا المحيط من خلال الأفعال (ارتفع ، يحدقون ، امتلأت ، ظهر ، يقود ، كانت ، يتناثر، طلع، ووقف).فضلا عن أعطاء صفات للموصوف :الدوي عال ، الفسحة الترابية ، القامات الطويلة أو المتلفعة بالعباءات السود ، ثور صغير ، أصوات الهلاهل ، وصراخ الصبية الصغار ، الأزقة الضيقة الصغيرة ، دكاكين بائسة ، كوفيته الكالحة ، على وجهيهما امتعاض ، الغبار المتصاعد)،فالموصوفات متنوعة ومتعددة يحتضنها مكان واحد.

٣- الوصف التصنيفي:

يسمى هذا النمط بتسميات عدة هي الوصف التفصيلي[٤٩] ، والوصف الفوتوغرافي[٥٠] والوصف الاستقصائي[٥١]، فضلا عن الوصف التصنيفي[٥٢]،ويعمد هذا الوصف إلى ((تجسيد الشيء بكل حذافيره بعيدا عن المتلقي وإحساسه بهذا الشيء)) [٥٣] .

إذ يقوم هذا النمط من خلال استقصاء الموصوف على تناول اكبر قدر ممكن من تفاصيله لذا تكون مقاطع الوصف بشكل طويل[٥٤]. فهو يكثر من وصف الشخصيات الرئيسة بطريقة دقيقة . فضلا على وصف البيوت والأماكن لأنها تخدم الهدف أي يكون على إحاطة تامة بكل شيء[٥٥].ومن أمثلة الوصف التصنيفي للشخصية ما جاء في قصة (البيارق) من تفصيلات استقصائية عن المخبر:

((ارتفع رأس الرجل فاهتزت إطراف كوفيته المدلاة على كتفه ، كانت عيناه تبحلقان في ارتعاشات البيارق المتتالية كما لو كانت تتفحصان ثمة شارات خفية ، سقطت في حدقتيه الألوان المثيرة ، ساوره احساس غريب حد العطش ، وتألق في عينيه فرح خاص بتآلف ما . وبدأ وجهه مشرقا كما لو انه كان يغني فرحه بصمت))[٥٦].

تتجلى شعرية الوصف التصنيفي لشخصية المخبر من خلال وصف أبعاد الشخصية المختلفة ، الاجتماعي ، الفكري ، والنفسي ، وقد تمثل وصف البعد الاجتماعي من خلال رداء الكوفية وحركة أطرافها على كتفه ، فارتداء الكوفية بوصفها زيا شعبيا ريفيا عكس انتماء الشخصية الريفي وبعدها الاجتماعي . أما البعد الفكري فقد تجلى من خلال تركيز نظر الشخصية نحو البيارق المربوطة في أعمدة الكهرباء وعلى الجدران المطلة على الشارع والتفكير بمدلولها وبمرجعياتها والاتكاء عليها لمعرفة بيئة أهل وأقارب جاره الذي قصده . فيما تجلى البعد النفسي من وصفه بالفرح الذي أكتنف داخله ولاحت بوادره في إشراقه وجهه .

ومما سبق فقد صنف القاص في وصف شخصية المخبر ، مما يوحي بمدى إصرار ابن الريف على القيم والتقاليد التي آمن بها .

ومن أمثلة الوصف التصنيفي للحدث ما جاء في قصة (عذابات سويلم بن العمية) من تفصيلات استقصائية عن الحدث على وفق الأتي: [٥٧]

- طفولة سويلم وموت النور في عيني أمه .
- موت أم سويلم متعبه عمياء مشلولة إلى النصف .
- زواج سويلم بن العمية اليتيم من فتاة جميلة وأنجب أطفالا عدة .
- زواج سويلم من الفتاة الجميلة وإنجابه للأطفال أثار حفيظة شيخ القرية المصاب بالعقم .
- موت سويلم بن العمية غرقا في النهر .
- وجود الجثة طافية في النهر وخيط من الدم يمتد من الجثة، وبمحاذاتها، ثم يتخلف وراء ها.

ومما سبق فقد صنف القاص في الحدث مما يوحي بفظاعته من خلال شخصية سويلم بن العمية ، الذي مثل رمزا للحزن والمظلومية وهو يكابد مصائب الحياة منذ الولادة ، بدأ بحالة اليتم ووقع فقدان أمه لبصرها على حياته، ومن ثم أصابتها بالشلل النصفي ، وأخيرا فراقها الأبدي ،لتنهي حياته التي كانت صفحات من الحزن بالقتل الغدر ، ليغادر الحياة بعدها تاركا الحزن مخيما على عائلته من بعده .

ومن أمثلة الوصف التصنيفي للمكان ما جاء في قصة (هموم شجرة البمبر) من تفصيلات استقصائية عن تفاصيل المكان:

((ممر ضيق لا يكفي قدما أو قدمين يمران عليه في آن واحد وبصورة متعاكسة ، يرتفع من النهر ارتفاعا يكاد يكون مفاجئا في عدة أماكن وفي أماكن أخرى كان التراب يمتد مترامي إلى حافة سكة حديد يمر عليها قطار حمولة مرتين في كل نهار ، لا تعرف ساعة مروره غير أن علامة التنبيه دائما مركوزة في مكان مواجه لامتداد المرتفع الممتد مع النهر ، ثمة جسر يقطع النهر ، ينحدر من حافته الملاصقة للممر المرتفع ، ممرا أكثر ضيقا))[٥٨]. ومما سبق فقد صنف القاص في إعطاء تفاصيل المكان الوعرة ليوحي بالمعاناة التي تعانيها الشخصية (إبراهيم أبو العيال) وهو يمر من خلالها يوميا اما لمراقبة القطار وانتظار عودة ابنه من العسكرية واما متوجها إلى النهر لقتل الوقت، ولاسيما بعد إحساسه بالوحدة اثر التحاق ولده محمد بالحرب.

٤- الوصف التعبيري:

وهو الوصف الذي يقوم على الإيحاء والتمليح[٥٩].إذ يتناول وقع الشيء والإحساس الذي يثيره في نفس المتلقي ،ويقدم هذا الوصف من خلال جملة قصيرة بالتركيز على الوصف القصير من دون الخوض بذكر الأجزاء والصفاة[٦٠]. ويسمى هذا الوصف بالوصف الإجمالي[٦١]أو الانتقائي[٦٢].

ومن أمثلة الوصف التعبيري للشخصية ما جاء في قصة(رائحة التراب):

((ضحكت بوجه عباس الأعرج ، كأن الصمت شيء يتدفق من خلال عينيه كانت رجله المقطوعة مصفوفة تحت دشداشته كانت صافنه كرجل حصان))[٦٣]. يعبر الوصف في النص القصصي على مستوى تعبيري لإظهار شخصية عباس الأعرج للإيحاء بالحالة المنهكة التي يعيشها ، جراء العوق الذي أصابه ، والذي سبب له عقدة نفسية وفكرية طبعت شخصيته بطابع العزلة والصمت الشديد.

من أمثلة الوصف التعبيري للحدث ما جاء في قصة (الأمواج):

((كان وهو يخاتل «الأسماك » عند ضفة الشط، ظل لفترة،يصوب«الفالة»لظهر الماء الهادئ ، فتصفق في الفراغ ، ينبعث صوتها قاسيا ، يأتي إلى أذنيه))[٦٤]. يعبر الوصف عن الحدث بمستوى تعبيري يوحي بقمة الحدث من خلال إصرار مهدي عبد الوالي على صيد اكبر كمية ممكنة من الأسماك، لأنه اعتاد إقامة الموائد من السمك المطبوخ ودعوة الأقارب والجيران. لذا فهو قصد النهر للصيد من وقت الغروب مستغلا الوقت طوال الليل في تلك الليلة المقمرة.

ومن أمثلة الوصف التعبيري للمكان ما جاء في قصة (التركة):

((كان الوقت ظهرا، هذه الساعة ينام في الغرفة الصغيرة، كل شيء صار في الغرفة اسود، الجدران سوداء، والنافذة المحفورة في عرض الجدار تعطي ضوءا اسود))[٦٥].

يعبر النص الوصفي عن المكان (غرفة المريض) بمستوى تعبيري ، راحت الشخصية المريضة المنهكة والفاقدة لأية حركة تلقي بظلالها على المكان ، فالشخصية بعد ان أعياها المرض وتركها لحم متيبس فقط لصيق بعظم خاوي لا تقوي على أية حركة، أخذت تنظر إلى الحياة وتعاين الأمور برؤية سوداوية فاقده لأي أمل في العيش الحر الكريم ، وقد تلونت الغرفة وما فيها بتلك الرؤية بعدما أصبحت هذه الغرفة قبرا لها في الحياة.

المبحث الثالث: وظائف الوصف.

١- الوظيفة التزينية (الزخرفية):

وكما هو واضح من العنوان، فان الوصف هنا يقوم بعمل تزييني. فهو يأتي في أسلوب مستقل يعمل على منح ((أبعاد جمالية وشمولية للشيء الموصوف ، وذلك من اجل أن تتخذ شكلا أروع وصورة أبدع في ذهن المتلقي))[٦٦]. إذ إن هذه الوظيفة تهدف إلى إشباع حاجة جمالية لدى القارئ وهي بمثابة وقفة أو استراحة في مضمار السرد[٦٧].فضلا عن هدفها ((في معظم الأحيان إلى بناء ديكور، والى تحديد إطار الحدث))[٦٨].

ومن أمثلة الوظيفة التزينية للوصف ما جاء في قصة (الذبيحة):

((من فوق القبة الخضراء كانت تلتمع كف نحاسية أو ذهبية تواجه الشمس وتلصف بشدة أكثر العيون تراها من خلال فسحة ترابية ديست منذ الصباح ، خالية من أيما نبض إلا أن اهتزاز سعفات النخيل وتناثر بعض القبور المردومة والمتفرقة في عدة أماكن على جانبي طريق السابلة يجعلان للمكان أهمية الأماكن الجديدة التي تقع عليها العين لأول مرة))[٦٩].

يعمل الوصف من أجل تحقيق وظيفته التزيينية على إعطاء صفات المكان المميز التي تميزه عن غيره من الأماكن الأخرى من حيث وجود القبة ، ولونها الأخضر المميز ،الكف النحاسية في أعالي القبة ، وهي تلصف بوجه الشمس ، الفسحة الترابية الخالية من أية حركة ، إلا من اهتزاز سعفات النخيل الهادئ.

فالوصف في هذا المقطع يحدد البعدين الخارجي والديني للمكان بما يتوافق مع أهمية المكان الاجتماعية بوصفه مكانا دينيا (مزار)يحتضن قبرا لرجل صالح يؤمه مئات المسلمين من مناطق مختلفة، وهو على موعد لاستقبال زيارة دينية كبيرة تنحر فيها الكثير من الذبائح، فلا بد ان يكون هذا المكان مميزا وبارزا. فصور

الوصف المختلفة(القبة، لونها الأخضر، الكف النحاسية،الهدوء الذي يكتنف المكان) ترسم صورة المكان في مستويات مختلفة (الشكل ، البروز ، الوقار، السكينة) بما يعكس وظيفة الوصف في تقديم البعد الجمالي .

ومن أمثلة الوظيفة التزيينية للوصف ما جاء في قصة(الأمواج):

((مد عينيه تجاه البيوت «گـردلان » فرأها ناعسة في الظلام المندس مابين البيوت ،والمتساقط كالضباب الكثيف من أعالي النخيل ، والقمر ،بعد ،لما يزل معرسا فوق مياه الشط ..عاد ثانية ، يحدق في أضواء المراكب والسفن ، فكان الشط من امامة يصدر كركرات ناعمة ،إذ تندلق ،بين فترة وأخرى أمواج آتيه من بعيد ،عند حافة الضفة ويتسلل منها ،صوت يصعد ،دافعا رائحة الماء والسمك الهارب إلى صدره..))[٧٠]. لقد أعطى الوصف في النص القصصي أبعادا جمالية للمكان المفتوح القرية «گـردلان »، والشط وهو يزدحم بالمراكب والسفن وأضوائها المتكسرة على سطح الماء . فأولا: إبراز الوصف اسم القرية «گـردلان » أضفى على القرية بعدا واقعيا ، قد يعود بها إلى مرجعية حقيقة ، ومن ثم طبيعة بيوت القرية المتناثرة وهي محاطة بالنخيل جعل الظلام الداكن يسربل فضاء القرية بالظلام ، فالقرية في هدوء تام وسكينة ، وهي نائمة في طمأنينة ، على الرغم من انها على موعد – (بالأداة «لما » حصول الفعل بعد زمن التكلم)– بسطوع القمر يقابل القرية الشط الذي لم يسكن له ليل ، فحركة المراكب والسفن مستمرة فيه وأضواءها المنكسرة على سطح الماء ،كسرت حاجز الصمت والظلمة اللذين فرضهما الليل ، وراحت حركة الأمواج المنداحة بفعل حركة المراكب والسفن تصل إلى الصياد الموجود على مسافة منها ، وأصواتها تتلاطم وهي تعبق برائحة السمك الهارب من ضجيج المراكب والسفن بحثا عن اماكن فيها امن وسكينة ،مما يبعث في نفس الصياد حافزا على الاستمرار في الصيد ومتابعة اماكن تمركز السمك. فالقرية، بأسمها ، وطبيعة بيوتها المتناثرة ، أمنها وسكونها ، تتوسد إحدى ضفتي الشط الزاخر بحركة السفن المختلفة. وبهذا يرسم الوصف صورة للقرية والشط معا بما يعكس وظيفة الوصف في تقديم البعد الجمالي.

٢- الوظيفة الإيهامية:

وتعمل الوظيفة الإيهامية على أيهام القارئ بحقيقة واقعية العالم الذي يقرأه، إذ انه ((يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي ويشعر القارئ انه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال))[٧١].

ومن أمثلة الوظيفة ألإيهامية للوصف ما جاء في قصة (هموم شجرة البمبر):

((ارتفعت شجرة البمبر على ساق طويلة غير بعيدة عن النهر ،لكن سياجا من القصب تغطيه بعض النباتات المتسلقة في أماكن متباعدة ،كان يفصل الشجرة عن النهر .ومع ذلك فالشجرة ألقت جذورا كثيرة ناتئة بعضها مغروس في ضفة النهر، وقد غطت معظم جذورها الناتئة بأغصان مدلاة بغير إنتظام ،مثقلة بثمرة البمبر الصفراء ، الأغصان تعلن عن تمردها الطبيعي إذ تسقط ثمارها إلى النهر))[٧٢]. يدخلنا الوصف إلى عالم الخيال ليجعله عالما حقيقا واقعيا من خلال الإيهام عن طريق التفصيل في شجرة البمبر ، هيئتها وطبيعة إنباتها .

فالشجرة هي شجرة بمبر لا غير ، ساقها طويلة ،تنبت على مقربة من النهر، لكنها معزولة عن النهر لوجود سياج يفصل بينهما من القصب الكثيف ، المغطى بالنباتات المتسلقة في أماكن متباعدة .للشجر جذور كثيرة وطبيعة هذه الجذور أن أكثرها ناتئة لنبوتها في سطح الأرض أو قريب منه، ومنها ما هو مطمور في الارض

، من هذه الجذور ما تنتهي نهايته تحت ساق الشجرة أو في الدائرة المحيطة بها، والبعض الأخر يمتد إلى ضفة النهر القريب.

الجذور الناتئة غير واضحة أحيانا بسب تدلي ألأغصان عليها بنحو عشوائي، لاسيما أن هذه الاغصان مثقلة بثمر البمبر الأصفر اللون ، الذي كثيرا ما يسقط في النهر ، فيوغل الوصف في أدق تفاصيل هذه الشجرة، وبذلك يحقق الوصف وظيفته الإيهامية عبر ما يقدمه من استيفاء عن تفاصيل الشجرة، وضعها، وطبيعة انباتها، ليوحي القاص بالعالم الحقيقي.

ومن أمثلة الوظيفة الإيهامية للوصف ما جاء في قصة (رائحة التراب):

((مقهى أبي مضر ، وهي مقهى صغيرة يطل وجهها الضيق على نهر العشار ، دائما تكشف عري وجوهنا الأمامية لعيون المارة ، أو تتركها، عند الظهيرة ، تصطدم بالبناية التي تقع بمحاذاة النهر ،....للبناية عدة عيون غائرة في الظل ، تبحلق في الرؤوس التي تمرق من تحتها أو في الرؤوس الثابتة في داخل المقهى ، رغم أنني لست مدمنا على الجلوس فيها ،إلا أن منظر البناية المقابلة ، كان دائما يشدني إلى شيء ما ، إذ أرى «الغسيل » يرفرف على حبال معلقة بشكل أعلام مدلاة إلى الأسفل))[٧٣].

تتحقق الوظيفة الإيهامية للوصف عبر الوصف التصنيفي للمكان (المقهى) وهو يلقي بظلاله على الشخصية، والتركيز على وفق الأتي:

— حجم المقهى الصغير .

— أطلال وجه المقهى الضيق على النهر العشار .

— انكشاف رواد المقهى وتعري وجوهم أمام المارة.

يحقق الوصف وضيفته الإيهامية من خلال تحديد بناية المقهى وموقعها، ومن ثم تحديد الأماكن المجاورة والأشياء المؤثرة عليها ،ويفصل الوصف في ذكرها (البناية المجاورة العالية / شبابيك البناية /عيون المارة)ثم ينتقل الى موقف أحد رواد المقهى الذي يجلس في داخلها فهو لم يجد راحة في هذه المقهى بسب ضيقها أولا وتعري وجوه جميع النزلاء أمام المارة بسب صغرها ، وانفتاحها على الشط وكثرة المارة ثانيا،فضلا على سيطرة شبابيك البناية المجاورة عليها .

لذا فهو لم يقصد المقهى لذاتها للاستراحة فيها ، وإنما اتخذ منها محطة ليتمكن من خلالها مراقبة الفتاه الجميلة التي اعتاد رؤيتها من داخل هذه المقهى وهي تنشر غسيلها على الحبل الموجود فوق البناية المطلة على المقهى .

فهذا الأفعال التيٌ قامت ببعضها الشخصية وتنوي القيام ببعضها الآخر فضلا على ما ينتابها من تصور وشعور تجاه المقهى تمنح بطريقة أو بأخرى الوصف وظيفته الإيهامية ليوحي القاص بالعالم الحقيقي في الواقع المعيش.

٣- الوظيفة التفسيرية:

يسعى الوصف احيانا إلى تحقيق((وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق ألحكي))[٧٤].

وقد يطلق على هذه الوظيفة التفسيرية أو التوضيحية [٧٥] ، وتسمى كذلك بالوظيفة التوثيقية[٧٦] ،لان الوصف يهدف إلى تصوير الشخصية الروائية ، وموضعة أفعالها وتوضيح وتفسير أسباب سلوكها وأفعالها عن طريق وصف بيئة الشخصية ومكوناتها من الأشياء وكل ما يكون له علاقة بها.

ومن أمثلة الوظيفة التفسيرية للوصف ما جاء في قصة(الأمواج):

((نظر إلى زوجته ، كانت عيناها تبحران في عيون السفن المشتعلة بالضوء وهي تتأمل ، خيوطا دقيقة ، عبر رغبة نقية كثلوج البراري ، في امتلاك الفرح ، ورأى مهدي عبد الوالي في عيون الأطفال ،غابة من الفرح ، اشد كثافة ،تشتعل بكركرات لذيذة ، فوق أمواج الشط ،دافقة بمرح الطفولة ، وهم يمرحون بأحسن ما يكون المرح....!

غرز « الفالة »مرة أخرى ، وانخرطت من بين شفتيه ابتسامة صغيرة، كان قد رأى الأضواء تتشابك في حركة متتالية ، تحملها رؤوس الأمواج ، ترقص أو تغني ، وهي تصطدم ببعضها .في عينيه ،كانت حركة الحشائش تتناسق وحركة الأمواج وتصعد إلى عينيه .وهو يفتحها.....صعدت الان إلى أذنيه كركرات هادئة ، من داخل بطون الأمواج ، ومن الشفاه الصغيرة الملتصقة بجانب قامته .فبدت لعينيه «گـردلان » كلها تزحف نحو الضفة ....،وكما لو كانت ثمة أحلام تتدفق عبر خيطان الأضواء ألملونه،وفق صواري السفن والمراكب والبواخر الكبيرة ، والعمارات التي عبر الشط ، تكشط زرقة السماء وترسل أضواءها إلى آماد بعيدة وشاسعة جدا ، ظل صدره يحتوي الفرح بعمق ولذة كما كانت تكشف أمام عينيه، المسافات الضوئية فوق رؤوس الأمواج الراقصة الملونة))[٧٧].

ومما سبق فقد سعى الوصف لتحقيق وظيفته التفسيرية من خلال بناء الشخصية المتمثلة بالصياد (مهدي عبد الوالي) الذي اعتاد ممارسة صيد السمك أثناء الليل وهو يكابد الوحدة ووحشة الظلمة.إلا أن قرار زوجته مغادرة البيت في القرية «گـردلان » والالتحاق به مع أطفالها في ذلك الليل لغرض ايناسه ومؤازرته، لم يكن يخطر بباله مطلقا.

لذا كان وقع ساعة وصولهم على نفسه في زحمة الليل والظلام وهم يهتدون بفانوس نفطي مبعث فرح وسرور كبيرين، وعامل قوة وتجدد روحي وجسدي لكل ما أصاب نفسه وجسده من تعب ووحدة في ساعات عمله المضنية الماضية.

فبعدها راح يعاين كل ما حوله بنظرة ملؤها الفرح والطمأنينة، حتى صار يرى ويكشف فيما حوله كل ما كان لا يراه كالأضواء وحركة السفن و الأمواج الراقصة البعيدة التي غالبا ما تحمل سمكا هاربا من حركة البواخر والسفن فيأخذ بمتابعتها...

ومما سبق فقد تأثر الحدث القصصي بأفعال الشخصية (الصياد)المتأثرة بمشاعر الفرح والبهجة التي عاشها عقب وصول الزوجة والأطفال أليه.

ومن أمثلة الوظيفة التفسيرية للوصف ما جاء في قصة (طائر الخليج):

((كان كريم المرزوق يفكر في السفن التي تمر في هذه اللحظة ،وكان تتترك وراءها خطا مائيا ، ينشطر إلى فلقتين تنحدران باتجاه الجنوب الظليل بأشجار النخيل ، على امتداد ضفتي الشط ،وكانت لا تزال رائحة الماء الدافئة تصعد باتساع رقعة الشمس ، بعمق تسقط على سطوح الأشياء الطافية في الشط ، فتتلألأ وتتحرك بحيث تثير انعكاساتها في عيني المرزوق))[٧٨].

في النص السابق أعطى وصف المكان وظيفته التفسيرية عبر وصف حركة السفن وما تتركه وراءها من فعل في ماء الشط ، الذي راح ينشطر بغير انتظام إلى جزأين يفصلها اثر مسار السفينة الأصلي وقوة دفعها للماء ، والذي يتحول بعدها إلى مجال أبيض عريض ينحدر إلى مسافات طويلة باتجاه الجنوب، وسط ظلال النخيل الشامخ الذي يحاذي ضفتي النهر ، وهو ما يضفي على المكان طابعا جماليا ،الأمر الذي اثر على نشاط المرزوق في المراقبة ودوره في البناء القصصي .

فالمرزوق أعتاد زيارة المعبر لمراقبة الطيور القادمة من الخليج ، إلا ان جمال المكان الذي نتج عن حركة السفن وما تفعله في الماء وسط ظلال النخيل، دفع المرزوقي إلى استحسان المكان والتعلق به ،وبالتالي الاستمرار بمواصلة المراقبة للطيور الخليجية فيه وبشكل يومي ومن ثم القيام بالحدث وصولا إلى البناء الحدث القصصي.

الهوامش:

(١) النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلون :١٣.

(٢) موسوعة نظرية الأدب – الصورة – الطبع – المنهج:٢٣.

(٣) الشعرية والخطاب الشعري في النقد الأدبي العربي الحديث:انترنت.

(٤) ينظر: مفاهيم الشعرية: ١٩. وتحليل الخطاب الأدبي:١١.

(٥) ينظر الشعرية ، تزفيتان تودوروف :٢٣.

(٦) قضايا الشعرية ، رومان ياكوبسون:٢٧.

(٧) تحولات الشعرية د. يوسف وغليسي :٩.

(٨) م ،ن :١٤.

(٩) ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهين :٢٨.

(١٠) ينظر :معايير تحليل الأسلوب ،ميكائيل ريفاتير :٧٠.

(١١) مدخل لجامع النص ، جيرار جنيت :٥٠.

(١٢) ينظر: المتخيل السردي ، عبد الله إبراهيم:٣٨ .

(١٣) ينظر: الشعرية:٢٣.

(١٤) ضحك كالبكاء ،إدريس الناقوري :١٢٧.

(١٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مجدي وهبة:٢٢٣.

(١٦) في نظرية الرواية :٢٨٥.

(١٧) البيئة في القصة :٦٢.

(١٨) البناء الفني لرواية الحرب في العراق :٨٧.

(١٩) طائر الخليج :٨٧.

(٢٠) م ،ن،:٧٥.

(٢١) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق :٢٧.

(٢٢) دراسات في القصة العربية الحديثة :١١.

(٢٣) ينظر :شعرية المكان في الرواية الجديدة :١٢٢.

(٢٤) طائر الخليج:٧-٢٣.

(٢٥) م ،ن،:٦٣-٧٢.

(٢٦) هموم شجرة البمبر :٧-١٥.

(٢٧)ا لاتجاه الواقعي في الرواية العربية :٤١.

(٢٨) الألسنية والنقد الأدبي:١٣٢.

(٢٩) طائر الخليج:٧٦.

(٣٠) م ،ن:٢٠.

(٣١) هموم شجرة البمبر:١٣٢.

(٣٢) ينظر: الألسنية والنقد الأدبي:١٣٢.

(٣٣) ينظر:بناء الرواية ،سيزا قاسم :١٠٠.

(٣٤) ينظر: الألسنية والنقد الأدبي:١٣٤.

(٣٥) طائر الخليج:٨.

(٣٦) م ،ن :٧٧.

(٣٧) م،ن،:١١٢.

(٣٨) وظيفة الوصف في الرواية : ٣٣.

(٣٩)عالم الرواية :٩٨.

(٤٠) ينظر :أبحاث في النص الروائي:١٤٤.

(٤١) طائر الخليج:١٣.

(٤٢) م،ن،:١١٥.

(٤٣) م،ن،:٨٨.

(٤٤) ينظر : وظيفة الوصف في الرواية:٣٣-٣٤.

(٤٥) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان):١٥.

(٤٦) ينظر :في نظرية الرواية :٣٠٠.

(٤٧) طائر الخليج :٨.

(٤٨) م ،ن:٢٨-٢٩.

(٤٩) ينظر : البناء الفني لرواية الحرب في العراق:١٣٢.

(٥٠) ينظر :فضاء النص الروائي:١١٥.

(٥١) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان):٢٣.

(٥٢) ينظر : بناء الرواية :٨٢.

(٥٣) ينظر :م،ن:٨١.

(٥٤) بناء الرواية ،سيزا قاسم:٨١.

(٥٥) نحو رواية جديدة:١٢٩.

(٥٦) طائر الخليج:٩.

(٥٧) هموم شجرة البمبر:٦٩-٧٢.

(٥٨) م،ن:٨٠-٨١.

(٥٩) بناء الرواية ،سيزا قاسم:٨١.

(٦٠) ينظر :فضاء النص الروائي،محمد عزام :١١٥.

(٦١) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان):٨١.

(٦٢) ينظر: الألسنية والنقد الأدبي:١٤٤.

(٦٣) طائر الخليج:١١٨.

(٦٤) م،ن:٧٥.

(٦٥) م،ن:٤٥.

(٦٦) ينظر:بناء الرواية ،سيزا قاسم:٨٠.

(٦٧) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان):٢٢.

(٦٨) نحو رواية جديدة:١٢٩.

(٦٩) طائر الخليج:٢٧.

(٧٠) م،ن:٧٧-٧٨.

(٧١) ينظر:بناء الرواية ،سيزا قاسم:٨١.

(٧٢)هموم شجرة البمبر:٨١.

(٧٣) طائر الخليج:١١١-١١٢.

(٧٤) بنية النص السردي :٧٩.

(٧٥) م،ن:٧٩.وينظر :بنية الخطاب النقدي :٥٤.

(٧٦) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان):٢٢.

(٧٧) طائر الخليج:٨٢.

(٧٨) م ،ن:٨٧.

المصادر:

١-أبحاث في النص الروائي العربي ،سامي سويدان، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ،ط١، ١٩٨٦.
٢- الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ،عمر الطالب- دار العودة ،ط١، ١٩٧١.
٣-الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ، موريس أبو ناضر،دار النهار للنشر ، بيروت،١٩٧٩.
٤- بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) ،سيزا احمد قاسم،الهيئة المصرية العامة للكتب ،القاهرة ،١٩٨٤.
٥- البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان)، د.شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ،ط١، بغداد،٢٠٠٠.
٦- البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
٧- بنية الخطاب النقدي – دراسة نقدية ،د.حسن خمري ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،١٩٩٠.
٨- بنية اللغة الشعرية ،جان كوهين ،ترجمة :محمد الوالي ومحمد العمري ،دار توبقال للنشر ،ط١، الدار البيضاء،١٩٨٦.
٩- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،د.حميد لحمداني ،المركز الثقافي العربي ،١٩٩٣.
١٠- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، د.محمد عزام ،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
١١- دراسات في القصة العربية الحديثة، أصولها، اتجاهاتها، أعلامها، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف ،الإسكندرية، ١٩٨٧.
١٢- شعرية المكان في الرواية الجديدة – الخطاب الروائي لادوارد الخراط ،خالد حسين ، كتاب الرياض (٨٣)،الرياض ،٢٠٠٠.
١٣- الشعرية ، ترفيتان تودوروف ، ت شكري المبخوت ، ورجاء بن سلامة ،دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء – المغرب ط٢، ١٩٩٠.
١٤- طائر الخليج ، مجموعة قصصية ، كاظم الأحمدي ،دار الحرية ،بغداد ، ١٩٨٦.
١٥- ضحك كالبكاء ،إدريس الناقوري ،دار الشؤون الثقافية العامة ،ط١، بغداد ، ١٩٨٦ .
١٦- عالم الرواية ،رولان بورنوف وريال أو ئيليه ،ت :نهاد التكرلي ود.محسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط١، ١٩٩١ .
١٧- فضاء النص الروائي ،محمد عزام ، مطبعة اليمامة ،حمص ،ط١، ١٩٩٦.
١٨- في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد ،عبد الملك مرتاض ،عالم المعرفة (٢٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،١٩٩٨.
١٩- قضايا الشعرية ،رومان ياكوبسون ،ترجمة :محمد الولي ومبارك حنون ،دار توبقال للنشر ، ط١، الدار البيضاء ،١٩٨٨.
٢٠- المتخيل السردي ،مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ،عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ،بيروت،ط١، ١٩٩٠ .

٢١- مدخل لجامع النص ،جيرار جينيت ،ت عبد الرحمن أيوب ، دار توبقال للنشر ، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٦.

٢٢- معايير تحليل الأسلوب ، ميكائيل ريفاتير ،ت :حميد لحمداني ، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ١٩٩٣.

٢٣-معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سيد علوش ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،١٩٨٥.

٢٤- مفاهيم الشعرية، دراسات مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٤.

٢٥- موسوعة نظرية الأدب، مجموعة كتاب من السوفييت، ترجمة:د.جميل نصيف التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،١٩٩٣.

٢٦- نحو رواية جديدة ،ألان روب غرييه ، ترجمة :مصطفى إبراهيم مصطفى ،دار المعارف، القاهرة ،(د.ت).

٢٧- النظرية الأدبية المعاصرة ،رامان سلون ،ت:سعيد الغانمي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،دار الفارابي للنشر والتوزيع ،بيروت ،ط١، ١٩٦٦.

٢٨- وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر ،المغرب ،١٩٨٩.

٢٩- هموم شجرة البمبر ،قصص، كاظم الأحمدي ، النجف ،١٩٧٥.

الدوريات

١-البيئة في القصة ،مجلة الأقلام ، بغداد ،العدد(٧) لسنة١٩٨٩ .

٢-تحولات الشعرية في الثقافة النقدية العربية الحديثة، بحث في حفريات المصطلح، د.يوسف وغليسي ،مجلة عالم الفكر ،الكويت ،٣٧،العدد(٣) لسنة ٢٠٠٩.

الانترنيت.

الشعرية والخطاب الشعري في النقد العربي الحديث ،سعيد الغانمي ، موقع مجلة نزوى

www.nizaw.com

An analytical study of poetic description in the stories of Kazem Al-Ahmadi – analysis of two sets of stories “homoom shajarat al bamber” & “ta’ir al khaleeg”

Abstract

The research is based on an analytical study of poetic description in the stories of the two sets of ((“homoom shajarat al bamber” & “ta’ir al khaleeg”/in English “worries of sea tree, and the Gulf’s bird”)) for Narrator: Kazem Al-Ahmadi. The research starts with the introduction which deals with the concepts of identifying search terms: poetry, and description.

The search consists of three sections, the first includes forms of description, a description of personality , description of the event and the description of place, and the description of thing means all that interacts with personality or other elements, or serves part of them in one way or another. It also deals with the descriptions in the stories under discussion.

The second section tackles patterns of description, such as the simple, compound, taxonomic and expressionist descriptions. This classification of patterns is based on the descriptive details directed by technique of the description of the described {character, event, place, thing} and then comes the third section, which includes functions of description: three-specific functions, classified on the basis of what aim or goal the description gives to the described thing. These functions are decorative. They provide the described thing aesthetic dimensions. while the second function: deluding function to delude the reader of the fact of the imagined read world. The third function seeks to explain, interpret and clarify what description treats of the stuffs and assets for some purpose that serves some aspect of the narrative events, such as personal life, their actions and behavior, events, places, and other components.